الوداعة

الوداعة صفة نبيلة هادئة. والإنسان الوديع هو شخص محبوب من الكل. فما هي صفات الإنسان الوديع؟

"١" الإنسان الوديع طيب وهاديء ومسالم:

إنه هاديء في صوته. لا يصيح ولا يُحدث شغباً. وهاديء أيضاً في معاملاته. لا يخاصم ولا يقطع صلته بإنسان. ولا يحتد علي أحد.

لا يقطع رجاء إنسان: فلا يطفيء فتيلة مدخنة. ربما تمر عليها ريح بعد حين. فتشعلها. هكذا يتصرف مع صغار النفوس.

والإنسان الوديع له صوت منخفض خفيف. فهو لا يرفع صوته أزيد مما يجب. ولا يعلو صوته أكثر مما تستلزم الحاجة في الكلام. صوته هاديء غير صاخب. بعكس العنفاء الذين في كلامهم صخب. يتكلمون بصوت عال وبحدّة وعنف. أحياناً صوتهم يرعب!

❧

"٢" والوديع كما أن صوته منخفض. كذلك نظراته منخفضة أيضاً

لا يحدّق في أحد. ولا يحملق في أحد. تنطبق عليه عبارة "لا يملأ عينيه من وجه إنسان". لذلك فهو يحتفظ بعلاقات طيبة مع الكل. لأنه لا يفحص مشاعر الناس بنظراته. ولا يحاول أن يعرف بذلك ما بداخلهم. لأن معرفة الدواخل تعكر المعاملات.

أما غير الوديع فإنه يكلم غيره. وينظر إلي عينيه أثناء كلامه. ليري هل هو صادق أم لا؟ وهل نظراته عكس كلامه؟ وهل ملامحه عكس كلامه؟ وهل هو يبطن غير ما يظهر؟ وهل.. وهل؟ مما يوجب الشك فيه!!

❧

أما الوديع فيعيش في سلام مع الناس. لأنه لا يفحص ملامحهم وتصرفاتهم

إن تعامل مع أحد. لا يتناول هذا الشخص وأعماله بالفحص والتدقيق ليصدر أحكاماً عليه. وإن جلس مع أناس يأكلون. لا ينظر إليهم ماذا يأكلون وكيف؟ وأي صنف يأكلونه؟ وما الذي يحبونه أكثر من غيره؟ وهل يأكلون بسرعة أو بشهوة أو بنهم. إنه لا يراقبهم أثناء أكلهم. كما لو كان يحصي كم لقمة يأكلونها!!

❧

إنه هاديء لا يفحص أعمال الناس. ولذلك فهو لا يقع في إدانة الآخرين ومسك سيرتهم. بل يقول في داخله ما شأني بهذا؟!

فإدانة الآخرين تأتي غالباً من فحص تصرفاتهم ومراقبتهم. أما الوديع فيقول في نفسه "أنا مالي؟ خلّيني في حالي". نعم ما شأني بكل هؤلاء؟ ومن أقامني قاضياً عليهم؟! لماذا أتدخل في أمور لست أنا مسئولاً عنها؟ ولماذا أقحم نفسي فيما لا شأن لي به؟!

وهكذا يحتفظ بسلامه الداخلي وسلامه مع الناس.

❧

والإنسان الوديع يكون دائماً بشوشاً. لا يعبس في وجه أحد

لا يقطب جبينه ولا نظراته. ولا يتجهم. ولا يستقر عليه أبداً روح الغضب أو الضيق. له ابتسامة حلوة محببة إلي الناس. وملامح مريحة لكل من يتأملها. ولا تسمح له طبيعته الهادئة أن يزجر وأن يوبخ. وأن يشتد ويحتد. بل هو بطبيعته إنسان هاديء. وكلامه لطيف وليّن. وبخاصة إن كان من العاملين في الخدمة الاجتماعية.. له الوجه السمح والمحبوب الذي يفيض سلاماً علي غيره.

❧

ومادام الوديع يتمتع بسلام داخلي. فهو لا ينزعج ولا يضطرب. مهما كانت الأسباب الخارجية..

قد يكون البحر هائجاً والأمواج مرتفعة. والسفينة تضطرب في البحر وتميل يميناً ويساراً. أما الصخرة الثابتة في البحر فإنها لا تضطرب. والجنادل التي في البحر لا تهتز. مهما كان عنف الأمواج.

كذلك الوديع: هو كالصخرة أو الجندل. لا يتزعزع مهما كانت الظروف. بل في هدوء يسلّم الأمر لله. ويقول مع المرتل في المزمور: "إن يحاربني جيش فلن يخاف قلبي. وإن قام عليّ قتال. ففي هذا أنا مطمئن". قال أحد الآباء الروحيين: من السهل عليك أن تحرك جبلاً من موضعه. وليس سهلاً أن تحرك الإنسان الوديع عن هدوئه.

❧

ومهما عومل الوديع. فإنه لا يتذمر ولا يتضجر. ولا يشكو..

بل غالباً ما يلتمس العذر لغيره. ويبرر في ذهنه مسلكه. ولا يظن فيه سوءاً. وكأن شيئاً لم يحدث! ولا يتحدث عن إساءة الناس إليه. ولا يحزن بسبب ذلك في قلبه. فإن تأثر بسبب ذلك أو غضب. سرعان ما يزول تأثره ويصفو. ولا يمكن أن يتحول حزنه المؤقت إلي حقد.

وقد يثور البعض عليه. ويوجه إليه اتهامات أو إهانات. فلا يحتد ولا ينتقم لنفسه. ولا يقاوم الشر.. بل قد يصمت في هدوء. ويبتسم في وجه من يثور عليه ابتسامة بريئة. وكأنه ليس المعنيّ بما يقال. وابتسامته تجعل الثائر عليه يخجل من إهانته له.

هذا الإنسان الوديع. له أحياناً طبع الطفل الهادىء المبتسم.

❧

الإنسان الوديع بعيد عن الغضب. حليم واسع الصدر

إنه لا يغضب بسرعة. ولا ببطء! ولا ينفعل الانفعالات الشديدة. ولا تراه أبداً ثائراً ولا عصبياً. بل ملامحه دائماً هادئة..وكما أنه لا يغضب من أحد. فإنه أيضاً لا يتسبب في غضب أحد. وإن غضب عليه أحد. فإن له "الجواب اللين الذي يصرف الغضب"..لذلك فهو إنسان طويل البال. وكثير الاحتمال. يحتمل من يخطئون إليه. ويطيل أناته. ويعيش معهم في سلام.

ليس أي سبب يثيره.. ولهذا إن غضب الوديع. فلابد أن أمراً خطيراً قد دعاه إلي ذلك. وغالباً ما يكون غضبه بسبب الضمير والحق. وليس بسبب كرامته أو حقوقه كما يفعل غير الودعاء.

وإن غضب. فإنه لا يثور ويفقد أعصابه. وإنما يغضب في رصانة معبراً عن عدم موافقته وعدم رضاه. فالوديع أعصابه هادئة لا تنفعل بسرعة. وإذا انفعل لا يشتعل.

وإذا غضب لا يحقد. بل سرعان ما يصفو.

❧

الإنسان الوديع مسالم وصفوح. ولا ينتقم لنفسه

لا يقاوم الشرّ. أي لا يقابله بمثله. ولا يدافع عن نفسه. بل غالباً ما يدافع الغير عنه. موبخين من يسيء إليه بقولهم "ألم تجد سوي هذا الإنسان الطيب لتعتدي عليه؟!"

الإنسان الوديع لا يؤذي أحداً. بل يحتمل الأذي من المخطئين. ومن الأمثلة الجميلة ما قيل عن سليمان الملك وسعة صدره. إن الله منحه "حكمة وفهماً كثيراً جداً". ورحبة قلب كالرمل الذي علي شاطيء البحر.

❧

والإنسان الوديع طيب. سهل التعامل مع الناس

إذا تناقش مع أحد. لا يجعل المناقشة تحتد وتتعقد. بل يبدي رأيه ببساطة. ويدافع عنه بهدوء. ويدافع عنه في وداعة الحكمة. حتي إن كان ينبه محاوره إلي خطأ. يفعل ذلك بنبل دون أن يجرحه.

إنه بسيط في التعامل. ليس عنده دهاء ولا مكر ولا خبث. ولا يظهر غير ما يبطن. ولا نعني بكلمة "بسيط" أنه إنسان ساذج! كلا. بل قد يكون حكيماً في منتهي الحكمة. ولكنه في بساطته لا يعقد الأمور. وهو لا يلف ولا يدور في حديثه. ولا يدبر خططاً ضد أحد.

بل هو صريح ومريح. يمكنك أن تثق به وتطمئن إليه

وهو رقيق في معاملته. لا يخدش شعور إنسان مهما أخطأ. بل هو حلو الطبع. دمث الخلق.. لذلك تجده محبوباً من الكل بسبب طيبته.

❧

والإنسان الوديع مملوء من الحنان والعطف حتي علي أشر الخطاة!

فإن رأيت إنساناً قاسياً في تعامله. أعلم أنه غير وديع.. فالوديع لا ينتهر خاطئاً. بل يقول في نفسه "وأنا أيضاً أخطيء" وهو يضع أمامه أربع درجات في التعامل مع من يخطئون إليه:

ه منها احتمال المخطيء إليه. فلا يغضب عليه ولا يثور ولا يحتد

ه ثم المغفرة للمخطيء. فلا يمسك عليه خطيئته. ولا يحقد عليه

ه وأيضاً الصلح مع المخطيء. ولتكن المبادرة منه هو

ه وأكثر من هذا كله. محبة المخطيء كأخ. والصلاة من أجله.

وهو لا يفعل كل هذا. إلا إذا كان قلبه واسعاً. وطبعه هادئاً.

وكان يتذكر أن الله تبارك اسمه "لم يصنع معنا حسب خطايانا. ولم يجازنا بحسب آثامنا".

❧

الإنسان الوديع لا يتشبث برأيه. ولا يكون عنيداً

إن دخل في مناقشة. يكون هدفه أن يكسب محاوره لا أن يغلبه.. فهو لا يظهر للمناقش أخطاءه. ولا يكشف له ضعف حجته. بل إنه في إيجابية وديعة يشرح وجهة نظره بأسلوب رقيق مقنع. وهو يتقبل الرأي الآخر. ويمتدح ما فيه من نقاط طيبة. ولا يعلو صوته في النقاش. ولا يعارض في عصبية. إنما في كسبه لمن يناقشه بكل لياقة وأدب. يمكنه أن يكسب المناقشة ذاتها.
أما غير الوديع. فيتمسك بأية نقطة مهما كانت صغيرة ويقيم عليها مشكلة ومناقشة. ويكبرّها ويضخمها. ويتباهي بما يكسبه من نقاط. حتي ليقول البعض لصاحب الرأي الآخر "هل وقعت في يد فلان؟! فلينقذك الله منه. لأنه يمكنه أن يستنتج لك أخطاء في كلامك. لم تفكر فيها قط!!"

❧

الإنسان الوديع هو شخص "مهاود". يميل إلي الطاعة
طبعاً يطيع فيما لا يخالف ضميره. وما لا يخالف وصية الله. أما في الأمور العادية. فلا يجعلها مجالاً للجدل والنقاش.
أما غير الوديع. فقد يكون صلباً وشديداً في كل ما يُطلب منه. ويظل يضع أسئلة وعراقيل: لماذا تريد؟ وكيف يمكن التنفيذ وهناك صعاب؟
ولماذا تطلب مني أنا بالذات؟ وعلام الإسراع؟ ومن قال لك إن وقتي يسمح وأن ظروفي تسمح؟! ويستمر في المعارضة. وقد ينتهي إلي الرفض. أو يوافق أخيراً بشروط مشددة. وبعد تعب في الأخذ والرد..!

❧

أما الوديع فإنه يريد أن يريح غيره
والخير الذي يستطيع أن يعمله لأجل غيره. فإنه يعمله بكل محبة وهدوء. وبدون جدل. ويكون مستعداً لأداء أية خدمة. سواء كان ذلك في نطاق عمله الرسمي أو تطوعاً منه.. بعكس بعض الموظفين الذين ليست لهم استجابة لطلبات الجماهير. وقد قلت مرة في ذلك:
الموظف المريح يجد حلاً لكل مشكلة. والموظف المعقد يجد مشكلة لكل حلّ!
لذلك إن نال الوديع مركزاً أو سلطة. يستخدم ذلك لمنفعة الناس.. لا يرتفع قلبه بسبب المركز أو السلطة. بل يظل خادماً للجميع. محققاً للناس ما يستطيع أن يحققه لهم عن طريق سلطته وإمكانياته.
من أجل هذا. يكون الوديع باستمرار شخصاً محبوباً
الناس يحبون فيه طيبة قلبه. وبشاشة ملامحه. وحسن تعامله. وخدمته للكل. ورقة أسلوبه. وبسبب ذلك يدافعون عنه إن أصابته أذية. حتي إن كان هو لا يدافع عن نفسه. والشخص الذي يستغل طيبته ويظلمه. يتعبه ضميره ويخاف. لأنه أذي إنساناً طيباً لا يؤذي أحداً.

❧

والإنسان الوديع له سلام في قلبه. لا يتعب من أحد
وإن ضغطت عليه الظروف وتعب. لا يظهر تعبه في الخارج بهيئة ضيق أو نرفزة أو برد الإهانة بمثلها. كلا. فكما أن له سلاماً داخل قلبه. له سلام كذلك مع الناس.
ومن صفات الوديع. البعد عن العنف
بل إن كلمة العنف هي عكس الوداعة تماماً. وحتي لو كان الوديع في موضع المسئولية. ومن واجبه أن يوبخ وينتهر. فإنه يفعل ذلك بهدوء بغير عنف. وإن اضطر أن يجازي. فإنه يحكم بغير قسوة. ويكون رقيقاً في نصحه.
وأتذكر إنني قلت في رثاء أستاذ لنا كان وديعاً
ياقوياً ليس في طبعه عنف ووديعاً ليس في ذاته ضعفُ
ياحكيماً أدّب الناس وفي صوته حبّى وفي زجره عطفُ
لم تنل بالذم إنساناً ولم تذكر السوء إذا ما حلّ وصفى
لك أسلوب نزيه "طاهر" ولسان أبيض الألفاظ عفُّ
إنما بالحب والاشفاق قد تصلح الأعوجّ. والأكدرُ يصفو